140984 ـ وقفات مع طاعنٍ في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

السؤال

قرأت أن معاوية كان السبب في قتل أهل البيت ، لذلك أشعر بالكراهية نحوه ، كيف يسوّغ لنفسه أن يكون ملكاً دون أهل البيت ؟ بالنسبة لي فلا أبالي إن كان له عمل صالح أم لا ، فحديث النبي صلى الله عليه وسلم واضح الدلالة في شأن تلك المرأة التي كانت تعمل الصالحات ولكن نواياها كانت فاسدة فقال : (إنها في النار) ، لذلك أظن أن نفس الأمر يمكن تطبيقه على معاوية ويزيد ، وأظن أيضاً أن من يلعنهما مصيب ، على أنني شخصيّاً لا ألعنهما ؛ لأن ذلك لم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم ، فهل بالإمكان إخباري ما الذي حدث تماماً بين معاوية ويزيد وأهل البيت ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

لا شك أنك أيها السائل قد أخطأت في مواضع من كلامك أخطاء كثيرة وعظيمة ، والذي يظهر أنك لم توفَّق لقراءة كتب أهل السنَّة ، أو السماع منهم ، بل لعل مقروءاتك ومسموعاتك كانت من الشيعة الرافضة ونحوهم ؛ لذا وقعت منك تلك الأخطاء ، وسنقف معك وقفات علمية ، نرجو أن تتأملها ، وأن تستفيد منها ، شاكرين لك حسن ظنك بموقعنا هذا :

1. لقد جمعتَ بين " معاوية بن أبي سفيان " وابنه " يزيد " بحكم واحد ، وهذا خلل عظيم ، وحكم جائر ، فمعاوية صحابي جليل ، يترضى عنه أهل السنَّة ، ولم يحصل منه قتل لأهل البيت ، ولا قتال لهم ، بخلاف ابنه يزيد ، فهو ليس صحابيّاً ، وهو الذي كان في خلافته قتل الحسين رضي الله ومن معه من أهله ، ومن أهل السنَّة من يلعنه ، والقول الوسط فيه هو أننا لا نحبه ، ولا نسبه ، وانظر تفصيل القول فيه في جواب السؤال رقم (14007) .

2. ومعاوية رضي الله عنه كان صحابيّاً جليلاً ، ومِلِكاً عظيماً ، وهو من كتَّاب الوحي ، ومن الفقهاء – كما شهد له ابن عباس ـ ، وقد شهد له كبار علماء أهل السنَّة بالفضل والعدل .

أ. فقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله أيهما أفضل : معاوية بن أبي سفيان ، أم عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة ، صلَّى معاوية خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمع الله لمن حمده ، فقال معاوية : ربنا ولك الحمد ، فما بعد هذا ؟ .

انظر " وفيات الأعيان " لابن خلكان (3 / 33) .

ب. وعن الجراح الموصلي قال : سمعتُ رجلاً يسأل المعافى بن عمران فقال : يا أبا مسعود ؛ أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان ؟ فرأيته غضب غضباً شديداً ، وقال : لا يقاس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد ، معاوية رضي الله عنه كاتبه وصاحبه وصهره وأمينه على وحيه عز وجل .

" الشريعة " للآجري (5 / 2466 ، 2467) .

ج. وعن الأعمش أنه ذُكر عنده عمر بن عبد العزيز وعدله ، فقال : فكيف لو أدركتم معاوية ؟ قالوا : يا أبا محمد يعني في حِلمه ؟ قال : لا والله ، بل في عدله .

" السنَّة " للخلاَّل (1 / 437) .

د. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ـ :

فإن معاوية ثبت بالتواتر أنه أمَّره النبيُّ صلى الله عليه وسلم كما أمَّر غيره ، وجاهد معه ، وكان أميناً عنده يكتب له الوحي ، وما اتهمه النبيُّ صلى الله عليه وسلم في كتابة الوحي ، وولاَّه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال ، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ، ولم يتهمه في ولايته .

" مجموع الفتاوى " (4 / 472) .

3. وما حكمتَ أنت به على معاوية رضي الله ليس هو حكم الشرع ، فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة التي حصلت بين علي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهما ، وشهد للطائفتين بالإيمان ، والحق ، وإن كانت الشهادة لعليّ رضي الله عنه ومن معه أنهم أقرب للحق ، لكن لم يشهد لمعاوية ومن معه بالباطل ، بل كانوا متأولين في طلبهم للحق ، وهو المطالبة بالاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه .

أ. عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ) .

رواه البخاري (3413) ومسلم (157) .

ب. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ) .

رواه مسلم (1064) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ـ :

فهذا الحديث الصحيح دليل على أن كلتا الطائفتين المقتتلتين ـ علي وأصحابه ، ومعاوية وأصحابه ـ على حق ، وأن عليّاً وأصحابه كانوا أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه ؛ فإن علي بن أبي طالب هو الذي قاتل المارقين وهم " الخوارج الحرورية " الذين كانوا من شيعة علي ، ثم خرجوا عليه ، وكفروه ، وكفروا من والاه ، ونصبوا له العداوة ، وقاتلوه ومن معه.

" مجموع الفتاوى " (4 / 467) .

وقال ابن كثير – رحمه الله ـ :

فهذا الحديث من دلائل النبوة ؛ إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه : الحكم بإسلام الطائفتين ـ أهل الشام ، وأهل العراق ـ ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام ، من تكفيرهم أهلَ الشام ، وفيه : أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة : أن عليّاً هو المصيب ، وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الإمام ، فله أجران ، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) .

" البداية والنهاية " (7 / 310) .

4. ولم يكن قتال معاوية لعلي رضي الله عنهما من أجل الخلافة والملك ، بل كان من أجل المطالبة بقتلة عثمان رضي الله عنه للاقتصاص منهم ، وكان علي رضي الله عنه يرى أن ذلك لا يكون إلا بعد تثبيت الخلافة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله ـ :

ومعاوية لم يدَّع الخلافة ، ولم يبايَع له بها حين قاتل عليّاً ، ولم يقاتِل على أنه خليفة ، ولا أنه يستحق الخلافة ، ويقرون له بذلك ، وقد كان معاوية يقرُّ بذلك لمن سأله عنه ، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا عليّاً وأصحابه بالقتال ، ولا فعلوا ، بل لما رأى علي رضي الله عنه وأصحابه أنه يجب عليهم طاعته ومبايعته ، إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد ، وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب ، وهم أهل شوكة : رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب ، فتحصل الطاعة والجماعة .

وهم قالوا : إن ذلك لا يجب عليهم ، وإنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين ، قالوا : لأن عثمان قُتل مظلوماً باتفاق المسلمين ، وقتلته في عسكر علي ، وهم غالبون لهم شوكة ، فإذا امتنعنا : ظلمونا واعتدوا علينا ، وعلي لا يمكنه دفعهم ، كما لم يمكنه الدفع عن عثمان ، وإنما علينا أن نبايع خليفةً يقدر على أن ينصفنا ويبذل لنا الإنصاف ... .

" مجموع الفتاوى " (35 / 72 ، 73) .

فلم يكن معاوية يناصب أهل البيت العداء ، ولا كان يكنُّ لهم البغضاء ، وإنما شأنه شأن سائر الصحابة رضي الله عنهم من تقدير أهل البيت ، وإنزالهم منزلتهم التي تليق بهم ، وقد نقل ابن كثير في " البداية والنهاية " (8 / 133) عن المغيرة قال : لما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته : أتبكيه وقد قاتلتَه ؟ فقال : ويحكِ إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم .

5. كان حكم معاوية للمسلمين بإجماع الصحابة رضي الله عنهم ، ولم يكن أحد يخالفه فيها ، مع الإقرار بوجود من هو أفضل منه .

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ :

فبويع الحسن ، ثم سلَّم الأمر إلى معاوية ، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما ، بلا خلاف ، ممن أنفق قبل الفتح وقاتل ، فكلهم ـ أولهم عن آخرهم ـ بايع معاوية ، ورأى إمامته ، وهذا إجماع متيقن ، بعد إجماعٍ على جواز إمامة مَن غيره أفضل ، بيقين لا شك فيه ، إلى أن حدَث من لا وزن له عند الله تعالى ، فخرقوا الإجماع بآرائهم الفاسدة بلا دليل ، ونعوذ بالله من الخذلان.

" الفِصَل في الملل والأهواء والنَّحَل " (4 / 127) .

6. وأما قولك " كيف يسوّغ لنفسه أن يكون ملكاً دون أهل البيت ؟ " : فقد سبق أن ذكرنا أنه لا يشترط للمتولي الخلافة أن يكون أفضل الناس ، بل للمفضول أن يتولى مع وجود الفاضل ، ثم إنه ليس أهل البيت هم أفضل الناس ، ثم إن الأمر مع معاوية رضي الله عنه كان مختلفاً ، حيث تنازل الحسن بن علي – وهو من أهل البيت – عن الخلافة لصالح معاوية رضي الله عنه ، وبايعه الصحابة أجمعون بالخلافة ، وفيهم أهل البيت كلهم ؛ فتحققت بذلك نبوءة النبي صلى الله عليه في الثناء على الحسن ، وأن الله يصلح به بين طائفتين من المسلمين .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : (ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ) .

رواه البخاري (3430) ، ورواه مطولاً (2557) .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله ـ :

وفي هذه القصة من الفوائد : علَم من أعلام النبوة ، ومنقبة للحسن بن علي ؛ فإنه ترك المُلك لا لِقِلّة ولا لِذلة ولا لِعِلّة ، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين ، فراعى أمر الدين ، ومصلحة الأمة .

وفيها : رد على الخوارج الذين كانوا يكفِّرون عليّاً ومن معه ، ومعاوية ومن معه ، بشهادة النبي صلى الله عليه و سلم

للطائفتين بأنهم من المسلمين ... .

وفيه : ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل ؛ لأن الحسن ومعاوية وليَ كلٌّ منهما الخلافة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد في الحياة ، وهما بدريان ، قاله بن التين .

وفيه : جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين .

" فتح الباري " (13 / 66 ، 67) .

فعليك أخي السائل أن تعيد النظر في حكمك على معاوية رضي الله عنه ، وأن تعلم أن ما قلتَه في حقه هو الظلم بعينه ، وإن لمعاوية من المنزلة والفضل ما أشرنا هنا إلى بعضه ، ونقلناه عن علماء هذه الأمة ، ولا تظنن أن أحداً من أهل السنَّة يوافقك على ما ذكرته في حق ذلك الصحابي الجليل ، فلم يبق إلا أن تتوب من قولك ، وأن تنزل هذا الصحابي الجليل منزلته اللائقة به ، فهو خير ملوك المسلمين ، وقد فتح الله تعالى على يديه وفي زمانه بلداناً ، ودخل بسبب ذلك في دين الله أفواج من الناس .

ونسأل الله تعالى أن يهديك للحق والصواب ، وأن يجعلك هادياً مهديّاً .

وننصحك أن تقرأ الكتب التالية :

1. " شبهات وأباطيل حول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما " .

2. " سل السِّنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه " .

3. " من فضائل وأخبار معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه " .

4. " الأحاديث النبوية في فضائل معاوية بن أبي سفيان " .

05 "أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان" ، محمد مال الله ، وهو كتاب مهم جمعه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، ورتبه وعلق عليه .

كما ننصحك بقراءة كتاب ابن العربي المالكي " العواصم من القواصم " ، وكتاب " منهاج السنة النبوية " لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وانظر جواب السؤال رقم (45563) في حكم بغض الصحابة رضي الله عنهم .

والله أعلم